
دراسة الغضب
جمع وتأليف:
وائل حسين الحليلي (صب لبن)

بسم الله الرحمن الرحيم السلام

إهداء :

أحمد الله أولا وآخرا على جزيل نعمائه وعظيم مننه وآلائه ، المتفضل على عباده بالإفهام والأفهام ، والأقلام والأحلام ، والصلاة والسلام على رسوله خير الخلق والأنام ، وصحبه من بعده الأنجاب الكرام ، ومن اقتفى آثارهم ممن صلى لله وقام ، وبعد

أهدى هذا العمل المتواضع للوالدين الكريمين ، وزوجتي الصابرة ، والأخوة الأعزاء أصدقاء الدرب ، وأبنائي وبناتي وأحفادي وكل محب للعلم وأهله ، وكل من تعلمت على يديه ولو حرفا واحدا ، سائلا الله للجميع النفع والتوفيق .

وائل حسين يوسف الخليلي (صب لبن)

مقدمة

أحيانا نرى في أنفسنا أمرا مختلفا ، نكون في منتهى الهدوء والاستقرار ، ثم لا نلبث اذا ما استغضبنا ، أن نتحول إلى شخص آخر يخرج عن طبعه ، وكأننا إثنين في واحد ، أو كأن وحشا غاضبا يختبىء فينا ، أو كأن خلف النسائم ريح عاتية ، ووراء سكون البحر أمواج متلاطمة ، وقد يتفوه البعض في غضبه بكلمات ينكرها بعد سكون غضبه ، وكأنه كان غائبا عن وعيه أثناء موجة الغضب .

الناس في الغضب لهم طبائع مختلفه ، منهم من يفقد السيطرة على نفسه تماما لدرجة يلحق معها الأذى بنفسه ، ومنهم من يكسر يده ، ويؤذى نفسه بجراح بليغة ، أو يلحق الأذى بغيره ، ومن الناس من يغضب ولكنه لا يفقد السيطرة على نفسه ، ويعي ما يقول جيدا ، وربما تساءل البعض هل هذا (الغضب) أمر جبلي في الإنسان لا يلام عليه ؟ أم أنه خلق يجدر بالإنسان السيطرة عليه ، وتوجيهه في محله ؟

وهل يلام الإنسان من الغضب نفسه ؟

أم يلام من نتائج الغضب وتوابعه ؟

وما هي الأمور التي تستحق أن نغضب لها ؟

كثيرا ما يغضب البعض لأمور لا تستحق الغضب ، ولو نظروا لها بعين العقل لوجدوها تافهة لا تستحق إنفعالهم ، وربما يكون جهل الإنسان رهنا بغضبه ، وعلمه وسعة أفقه رهنا باتزانه وسكونه .

تتزاحم لدينا التساؤلات عن السر في اشتعال جذوة الغضب لدينا ، وهذا أمر لا ننكر وجوده في أنفسنا و الناس فيه على طبائع مختلفة لدرجة أن بعض الناس يشتد غضبه إذا لم يجد من يسعده في غضبه ، أي يشاركه في غضبه ، وعلى كل فكثير من الغضب ما يعود بالضرر على الشخص ، ومحيطه بهدم الود بين القرابات ، وبإيجاد الشرخ بين سابق الصداقات ، إذ أن الغاضب يبيح لنفسه في كثير من الأحيان إختراق كل حواجز الإحترام والمروءآت ، لدرجة تجعل لديه بعض الظنون حقائق يعاقب عليها المغضوب عليه ، ولا يعني هذا عدم وجود ما يستحق الغضب جراء مخالفات بعض الأشخاص .

بعض الأشخاص لا يكون سبب غضبه ناجم من ذلك الأ مر الذي يوهمنا أنه غاضب لإجله ، بل يكون غضبه ناجما عن سوء مزاج سابق لا يصرح به ، ويفرغ جام غضبه في ذلك الأمر الذي يجعله مبررا لهذا الإنفعال ، فليس غريبا أن نغوص في أعماق نفوسنا لنسبر غور ثغراتها ، ويكون الأمر مفيدا إذا وضعنا الإصبع على مكامن الداء ، وتم تشخيص الحالة جيدا ، لاختيار ما يناسبها من العلاج .

فما هو هذا الشيء الذي يخرجنا عن الطبع ، وما هي الحيلة معه ، وهل يجدر بنا دفنه في أنفسنا أو الإبقاء عليه ، وكبح جماحه ، والإمساك بعقاله ؟

وهل في الغضب ما هو مذموم ، وما هو ممدوح ؟

وهل كل غضب يكون دليلا على ضعف النفس وطيشها ، أم دليلا على أنفة النفس وقوتها ؟

الغضب

الغضب في اللغة :

جاء في لسان العرب قوله :

"الغَضَبُ مَصْدَرُ: غَضِبَ، يُقَال: غَضِبَ عَلَيْهِ يَغْضَبُ غَضَبًا وَغَضْبَةً، وَمَغْضَبَةً، وَغَضِبَ لَهُ: أَيْ غَضِبَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِهِ، هَذَا إِذَا كانَ حَيًّا، فَإِنْ كانَ مَيِّتًا يُقَال: غَضِبَ بِهِ. وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: نَقِيضُ الرِّضَا، وَقَال أَبُو البَقَاءِ: الغَضَبُ إِرَادَةُ الإ ْ ض ْ ر َ ا ر ِ بِالمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَقَال الجُرْجَانِيُّ: الغَضَبُ تَغَيُّرٌ يَحْصُل عِنْدَ غَلَيَانِ دَمِ القَلْبِ لِيَحْصُل عَنْهُ التَّشَفِّي لِلصَّدْرِ."

الغضب من حيث فهم واقعه

وقال الإمام الغزالي في ميزان الإعتدال :

" فإن الغضب معناه غليان دم القلب، فإن كان على من فوقك في القدرة على الانتقام، تولد منها انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى القلب، وكان حزناً، ولأجله يصفر الوجه ، وإن كان على من دونك تولد منه ثوران دم القلب، لا انقباضه، فيكون منه الغضب الحقيقي وطلب ا لانتقام ، وإن كان على نظيرك في القدرة على الانتقام تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط، ويختلف به لون الوجه فيحمر ويصفر ويضطرب. وبالجملة قوة الغضب محلها القلب، ومعناه حركة الدم وغليانه".

وقال إبن الجوزي في كتابه مختصر منهاج القاصدين ك لاما قريبا من كلام الإمام الغزالي مع شيء من التفسير ما نصه :

" وحقيقة الغضب: غليان دم القلب لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلى به دم القلب، وينتشر بالعروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلى في القدر، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكى لون ما وراءه من حمرة الدم ، كما تحكى الزجاجة لون ما فيها ، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.

فإن كان الغضب صدر ممن فوقه، وكان معه يأس من ا لانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب ، فصار حزناً، ولذلك يصفر اللون ، وإن كان الغضب من نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب ."

وقال أيضا : " الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، وإنها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ".

ويقول ابن رجب : " الغضب : هو غليانُ دم القلب طلباً لدفع المؤذي عندَ خشية وقوعه ، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه "

وجاء في تفسير التحرير والتنوير قوله :

"الْغَضَبَ هُوَ كَيْفِيَّةٌ لِلنَّفْسِ تَعْرِضُ مِنْ حُصُولِ مَا لَا يُلَائِمُهَا فَتَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَرَاهِيَةُ الْفِعْلِ الْمَغْضُوبِ مِنْهُ وَكَرَاهِيَةُ فَاعِلِهِ، وَيُلَازِمُهُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ وَمُعَامَلَتُهُ بِالْعُنْفِ وَبِقَطْعِ الْإِحْسَانِ وَبِالْأَذَى وَقَدْ يُفْضِي ذَلِكَ إِلَى طَلَبِ الِانْتِقَامِ مِنْهُ فَيَخْتَلِفُ الْحَدُّ الَّذِي يَثُورُ عِنْدَ الْغَضَبِ فِي النَّفْسِ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ احْتِمَالِ النُّفُوسِ لِلْمُنَافَرَاتِ وَاخْتِلَافِ الْعَادَاتِ فِي اعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ، فَلَعَلَّ الَّذِينَ جَعَلُوا إِرَادَةَ الِانْتِقَامِ لَازِمَةً لِلْغَضَبِ بَنَوْا عَلَى الْقَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ "

والغضب (فسيولوجي وسيكيولوجي) ، بمعنى أنه عضوي نفسي في وقت واحد ، ألا ترى الانفعال النفسي يصحبه ثورة دموية، تغلي غلياناً شديداً في مراجل الصدر، وترتفع بها حرارة الجسم، وربما تحدث أشياء غير متوازنة في قول أو فعل؟

أما عن التفسير النفسي للغضب فهو ما ورد سابقا في تعريفات المصطلحين من حيث واقعه ، ومجمله :

أن الْغَضَب مشاعر طبيعية أودعها الله فِي الإنسان تثور لمؤثر خارجي في باطنه ، فتحمله عَلَى الدفاع عما يحبه من الأغراض ، وتدفعه إلي البطش بكل ما يؤذيه ، فإذا اعتدي عَلَيْهِ معتد أو حيل بينه وبين أغراضه تثور تلك المشاعر لتصبح قوة يغلي لها دمه وينتشر فِي العروق ويرتفع إلي أعالي البدن فيظهر أثر الغضب عَلَى الوجه والعينين .

وقد يكون شعور الغضب غريزيا يشترك وجوده في الإ نسان والحيوان ، وقد يكون إدراكيا مبنيا على معتقدات الإنسان وقناعاته ، بحيث لا يستثير غضبه إلا ما يخالف هذه المعتقدات والقناعات ، أو الإعتداء عليها ، وليس بالضرورة أن تكون هذه المعتقدات والقناعات صحيحة حتى يثور لها ، بل قد تكون باطلة وفاسدة وغير مبنية على العقل ، وغير موافقة للفطرة ومع هذا يغضب لها لا لشيء إلا لإنها معتقدات آمن بها وصدقها من غير دليل ، تقليدا للأباء والأجداد ، هذا من جهة التفسير للغضب من الناحية النفسية ، أما تفسيره من الناحية العضوية التي لا تنفك عن الناحية النفسية ، فهو أن الإنسان عندما يتعرض لخوف أو اعتداء أو أي شيء يستدعي غضبه ، تقوم الغدة النخامية بارسال إشارات عصبية للغدة الكظرية فوق الكلى بإفراز هرمونين من لب الغدة الكظرية ، وهما الأدرينالين ونورأدرينالين لتهيئة الجسم للوضع الطارىء الذي استثاره ، ويتلخص عمل الهرمونين بالجسم بما يلي :

توسيع الأوعية الدموية في العضلات والجلد لإيصال الدم الكافي لها .

قبض الأوعية الدموية والشعيرات الدموية في الأحشاء وبذلك يرتفع الضغط الدموي ويتحول الدم إلى الأمكنة التي يحتاجها الجسم مثل العضلات .

زيادة نبض القلب لضخ كميات أكبر من الدم إلى العضلا ت .

إرتفاع في درجة حرارة الجسم والجلد .

العمل على منع الحركة الدودية للعضلات الملساء في الأ معاء .

زيادة التنفس لتزويد الدم بكمية كافية من الأكسجين ، وبالتالي لتزويد العضلات بهذا الأكسجين .

تحويل جلايكوجين الكبد إلى جلوكوز، فتزيد كمية السكر في الدم، فيستغلها الجسم للحصول على المزيد من الطاقة اللازمة لمواجهة الظروف الطارئة.

فسبحان الله تعالى كيف يحيل الجسد إلى الإستعداد للوضع الطارىء ، ولولاه لسقط الغاضب مكانه ، ولم يتحمل أعباء غضبه .

الغضب والصحه

تقرر لدينا سابقا أن الغضب شعور طبيعي في الإنسان ، ومع هذا نجد الكثير من الأطباء يحذرنا منه ومن أضراره على صحتنا ، فمن الأضرار مثلا :

1- أمراض القلب

القلب هو أكثر عضو يتأثر بالغضب، فبسببه يمكن أن تزداد سرعة ضربات القلب لتتجاوز الحد الطبيعي، ومع إستمرار الغضب ستزداد سرعة النبضات التي يمكن أن تؤدي إلى الإصابة بالنوبات القلبية.

كما أنه أثناء الغضب ترتفع في الجسم هرمونات

الكاتيكومالين (الخاصة بالإستجابة للضغط والتوتر) وهرمون نور ادرينالين (الخاص بإستثارة الخلايا العصبية في الجسم)، أربعة أضعاف النسبة الطبيعية في الدم.

وهذين الهرمونين يمكن أن يسببوا حدوث ضرر في عضلة القلب في الأجل القريب والبعيد، ويؤديان أيضاً إلى ترسب الكوليسترول على جدران الشرايين.

2- اضطرابات النوم

أثناء الغضب، تحدث إضطرابات في بعض الهرمونات ب الجسم، مما يؤدي إلى حدوث مشاكل في النوم، وفي ح الة عدم أخذ الجسم القسط الكافي من الراحة سوف يكون أكثر عرضة للإصابة بالكثير من الأمراض.

من ناحية أخرى، قلة النوم وعدم الحصول على ساعات نوم كافية وبجودة جيدة من شأنه أن يؤدي إلى انخفاض القدرة على التركيز، مسبباً في التراجع الأ كاديمي للطلاب، والمهني للعاملين.

3- إرتفاع ضغط الدم

الإصابة بإرتفاع في ضغط الدم يمكن أن يحدث نتيجة الغضب، حيث عندما يتعرض الشخص إلى حالة غضب أو توتر، يقوم القلب بضخ مزيد من كميات الدم، وبالتالي يشكل هذا الكم حمل زائد وغير معتاد على الأ وعية الدموية، ونتيجة لهذا، قد تزداد فرص الإصابة بأمراض القلب الناجمة عن إرتفاع ضغط الدم ، ولذلك

ينصح الأطباء مرضاهم المصابين بارتفاع ضغط الدم أو ضيق الشرايين، أن يتجنبوا الانفعالات والغضب، وأن يبتعدوا عن مسبباته ، وكذلك مرضى السكر، لأن الأ درينالين يزيد من سكر الدم.

4- مشاكل في الجهاز التنفسي

الأشخاص المصابون بأمراض في الجهاز التنفسي مثل الربو لا يستطيعوا التنفس بسهولة في حالة الشعور بـ ـالغضب.

هذا الأمر من شأنه أن ينعكس سلباً على حالتهم الصحية ويضعهم في خطر الإصابة بنوبة الربو.

5- صداع الرأس

الغضب يزيد من نبضات الأوعية الدموية في الرأس مما يؤدي للإصابة بالصداع الحاد.

كما أن الغضب يؤدي إلى إنقباض بعض عضلات الرأس والرقبة، مما يتبعه شعور بأن هناك حزام مشدود حول الرأس.

6- السكتة الدماغية

تحدث السكتة الدماغية عندما تتمزق الأوعية الدموية في الدماغ، مما يعيق إمدادات الدم إلى جزء من الدماغ ، وهذا يمكن أن يحدث في حالات قليلة من الغضب الشديد.

ليس هذا وحسب، فالإصابة بالسكتة الدماغية يمكن أن تؤدي لحدوث شلل فوري في الجسم.

7- تأثيرات سلبية على الجلد

حينما تشعر بالتوتر والغضب، يقوم الجسم بإفراز الكورتيزول، بالإضافة إلى هرمونات أخرى تزيد من إنتاج الدهون التي تظهر على الجلد على هيئة حبوب، وتسهل تسلل المواد المسببة للحساسية إلى الجلد مثل الإلتهابات الجلدية والصدفية.

كما أن الغضب الزائد يؤدي إلى تقليل كمية هرمون الجلايكورتيكويدات الذي يساهم في تكوين الكولاجين الهام للبشرة، وبهذا تزداد فرص ظهور التجاعيد مبكراً.

8- اضطرابات هضمية قد تحدث بعدها قرحة معوية لإزدياد الإفرازات الحمضية في المعدة .

ومع قراءتنا لإضرار الغضب نجد أنه قد يصدر من أفضل الخلق كالأنبياء ، وقد يطرأ على الصالحين دون إنكار :

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ موسى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]

فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ

يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦)﴾ [طه: ٨٥-٨٦]

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ومغاضبا يعني غاضبا من قومه .﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)﴾ [الشورى: ٣٧-٣٨]

وجاء في العديد من الأحاديث النبوية حوادث أغضبت رسول الله فغضب منها :

روى ابن حبان في صحيحه عَنِ الأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : جَلَسْتُ عِنْدَ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى كَادَتْ رُكْبَتِي تَمَسُّ رُكْبَتَيْهِ ، فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَقَالَ أَنَا كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَكُونُ فِي زَمَانِ الأَنْبِيَاءِ ، يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْوَحْيُ ، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ ؟ فَقَالَ : " بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ،

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَخْبِرْنِي فِي أَيِّ الشَّهْرِ هِيَ ؟ فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ لَوْ أَذِنَ لأَ خْ بَ رْ تُ كُ مْ بِهَا ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَ وَ ا خِ رِ فِي إِحْدَى السَّبْعَيْنِ ، وَلا تَسْأَلْنِي عَنْهَا بَعْدَ مَرَّتِكَ هَذِهِ " ، قَالَ : وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَطْلَقَ بِهِ الْحَدِيثُ ، فَقُلْتُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ لَتُخْبِرَنِّي فِي أَيِّ السَّبْعَيْنِ هِيَ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيَّ مِثْلَهُ ، وَقَالَ : " لا أُمَّ لَكَ ، هِيَ تَكُونُ فِي السَّبْعِ الأَ وَ ا خِ رِ " .

وروى أحمد في مسنده عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فَأَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ ، قَالَ : " اجْعَلُوا حِجَّتَكُمْ عُمْرَةً " ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ أَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ ، فَكَيْفَ نَجْعَلُهَا عُمْرَةً ؟ ، قَالَ : " انْظُرُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ ، فَافْعَلُوا " ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ ، فَغَضِبَ فَانْطَلَقَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ غَضْبَانَ ، فَرَأَتِ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَغْضَبَكَ ، أَغْضَبَهُ اللهُ ؟ ، قَالَ : " وَمَا لِي لَا أَغْضَبُ ، وَأَنَا آمُرُ أَمْرًا فَلَا أُتبَعُ " .

وروى الإمام مالك في الموطأ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، أَنَّ رَجُلًا قَبَّلَ امْرَأَتَهُ وَهُوَ صَائِمٌ فِي رَمَضَانَ ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ وَجْدًا شَدِيدًا ، فَأَرْسَلَ امْرَأَتَهُ تَسْأَلُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ ،

فَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهَا ، فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ ، فَرَجَعَتْ ، فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا بِذَلِكَ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا ، وَقَالَ : لَسْنَا مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ يُحِلُّ لِرَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ ، فَرَجَعَتِ امْرَأَتُهُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ ؟ " فَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَنِ الْقُبْلَةِ لِلصَّائِمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أَخْبَرْتِيهَا أَنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ " ، فَقَالَتْ : قَدْ أَخْبَرْتُهَا ذَلِكَ ، فَذَهَبَتْ إِلَى زَوْجِهَا فَأَخْبَرَتْهُ بِذَلِكَ ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَرًّا ، وَقَالَ : لَسْنَا مِثْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِلُّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : " وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِهِ " .

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ (قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٌ فِيهَا فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ)

وروى أيضاً عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِي قَالَ أَبُوكَ حُذَافَةُ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)

فهذه أدلة على وجود الغضب وحصوله من أفضل خلق الله ، وإن كان لله تعالى ، فما هو الضابط لهذا الأمر ، وما هو وجه التوفيق بين ما يقال ويسرد من أضرار الغضب ، وبين ما ورد من أدلة كثيرة تشير إلى حصوله من الأنبياء والصالحين ؟

الضابط في هذه المسألة ، والحكم الفصل فيها إنما يكون بالتعامل مع الغضب بشكل صحي ، وإحكام السيطرة على النفس فيه ، فضلا عن كونه حالة مؤقتة لا يجدر التمادي فيها ، فلا يلام الإنسان على مشاعره الفطرية التي خلقها الله فيه ، وإنما يلام على خطأ التعاطي معها ، وترجمتها بإفعال خارجة عن جادة الصواب ، وإخراج الجسم الى إنفعال يودي به ، و الحقيقة أن الإنسان عندما يغضب تتزاحم لديه الأفكار ، ويكون أحوج ما يكون إلى اتخاذ قرار بالتعامل مع الحدث الذي سبب له الغضب ، وقد يقتصر الأمر على تفسير الغصب للأخرين حتى يعلموا أنهم وقعوا في خطأ ، وقد تصل ردة الفعل بالتعاطي مع الغضب إلى ما لا تحمد عقباه ، عياذا بالله من ذلك ، ولهذا حض ديننا

الحنيف على الحلم والأناة ، ففي الحديث الذي رواه مسلم قول الرسول ِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ)

وليست السيطرة على النفس مع الغضب بالأمر البسيط ولا بالأمر المستحيل ، ولكنه أمر يحتاج إلى رياضة ، وحزم ورباطة جأش ، وصبر ومصابرة ، وخوف من الله لإلى يقع الغاضب بالمحظور ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه .

وكذلك أيضا من الأجدر بالعاقل أن لا ينصاع للغضب بـ التمادي فيه ، بل عليه أولا أن يخفف من حدته حتى يحكم السيطرة على نفسه ، يقول عروة بن الزبير رضي الله عنهما: "مكتوبٌ في الحِكم: يا داود إياك وشدة الغضب؛ فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم " ، وأُثر عن أحد الحكماء أنه قال لابنه: "يا بني، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم " ، وقال آخر: " ما تكلمت في غضبي قط، بما أندم عليه إذا رضيت " .

فالغضب في بدايته يكون كمن يسوق عربة في طريق منحدره إن لم يحكم السيطرة عليها قادته لشر غايه ، أو كمن يقود خيلا جامحه إن لم يحسن سياستها ، ويمسك زمام عقالها أودت به ، فأول ما يجدر بالغاضب

الحذر منه ترك النفس تتمادى والغضب .

ومن الصفات التي امتدح الله بها عباده المؤمنين في كتابه، ما جاء في قوله تعالى: {الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس و الله يحب المحسنين} (آل عمران: 134)،فهذه الآية تشير إلى أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة مراتب: فمنهم من يكظم غيظه، ويوقفه عند حده، ومنهم من يعفوا عمن أساء إليه، ومنهم من يرتقي به سمو خلقه إلى أن يقابل إساءة الغير بالإحسان إليه.

مراتب الناس في الغضب

عدد الباحثون في علم النفس ثلاث عشرة نوعا للغضب ، من غضب متفجر وسلبي عدواني إلى مزمن وعادي وحكمي وغير ذلك ، والحقيقة أن كل هذه الأنواع تندرج تحت مسميين عند بعضهم ، غضب طبيعي لا يستوجب العلاج ، وغضب غير طبيعي يستوجب صاحبه العلاج ، أما علماء المسلمين فقد جمعوا حالات الغضب في ثلاثة أنواع : غضب فيه إفراط ، وغضب فيه تفريط ، وغضب معتدل ، ومن المؤكد أن حال الناس مع الغضب متفاوت ومختلف منهم الشديد الغضب ، ومنهم المعتدل في غضبه ، ومنهم البليد الذي

إذا ما استغضب لا يغضب ، وفي هذا يقول الإمام ابن الجوزي في كتابه مختصر منهاج القاصدين :

"والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال.

فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار.

والتفريط في هذه القوة أيضاً مذموم، لأنه يبقى لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكلية، عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسلط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطريقين ."

ويقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين :

" ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاثة في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال.

أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له. ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار. فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا ً فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال "أشداء على الكفار رحماء بينهم"

وقال لنبيه صلى اللّه عليه وسلم "جاهد الكفار و المنافقين واغلظ عليهم" الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب.

وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر. "

ويقول رحمه اللّه أيضا :

" واعلم: أنه متى قويت نار الغضب والتهبت ، أعمت صاحبها ، وأصمته عن كل موعظة ، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطى على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس ، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه ، وتسود الدنيا في وجهه ، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوه ، وحمى مستقره ، وامتلأ بالدخان وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ ، فلا يثبت فيه قدم ، ولا تسمع فيه كلمة ، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل بالقلب والدماغ ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه.

ومن آثار الغضب في الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطى فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته في حال غضبه وقبحها لأنف نفسه من تلك الحال، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم . "

ويعتبر الإمام الغزالي رحمه الله أن من أشد الدرجات خطرا ، درجة التفريط الذي يفقد الإنسان فيها الشعور بـ الغضب ، إذ أنها تسقط الدين ، حتى يصبح لا حمية له ، يقول رحمه الله :

" وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة ، واحتمال الذل من الأخساء ، وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرام ، وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم "إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد وأن الله أغير مني " ، وإنما خلقت الغيرة لحفظ ا لأنساب ، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ، ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ، ومن ضعف الغضب الخور و السكوت عند مشاهدة المنكرات ، وقد قال صلى الله عليه وسلم "خير أمتي أحداؤها يعني في الدين ، وقال تعالى "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله" بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة ، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة. "

يرى الإمام الغزالي والعديد من العلماء أيضا أن الإفراط في الغضب يسقط سياسة العقل ، ويخرج صاحبه عن التفكير السوي ، والنظرة الصحيحة للأمور ، التي يفقد ا لإنسان معها اتزانه ، وربما اعتبره بعضهم مزيلا للعقل كـ

المسكر "قال ابن القيم نقلا عن شيخه في إيقاع طلاق الغضبان :

" قسم شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه – الغضب إلى ثلاثة أقسام : قسم يزيل العقل كالمسكر ، فهذا لا يقع معه طلاق بلا ريب ؛ وقسم يكون في مبادئه بحيث لا يمنعه من تصور ما يقول وقصده ، فهذا يقع معه الطلاق ؛ وقسم يشتد بصاحبه ولا يبلغ به زوال عقله ، بل يمنعه من التثبت والتروي ، ويخرجه عن حال اعتدال فهذا محل اجتهاد"

وجاء في كتاب بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأ زرق : دَرَجَات النّاس فِيهِ أول الفطْرَة ثَلَاث : أَحدهمَا طرف التّفْرِيط بفقده أَو ضعفه وَهِي نقص عَن الكمَال وَلذَلِك قَالَ الْمَاوَرْدِيّ من أستغضب وَلم يغْضب فَهُوَ حمَار

الثَّانِيَة طرف الإفراط وَسبب غلبته أُمُور غريزية أَو اعتيادية فَرب إِنْسَان هُوَ بالفطرة مستعد لسرعة الْغَضَب أَو اعتيادي لمخالطة من يمتدح بالتشفي والا نتقام وَهُوَ أَيْضا نقص مَذْمُوم "

الثَّالِثَة وسط مَا بَين الطّرفَيْنِ وَهُوَ الإعتدال الْمَحْمُود لعمله بِإِشَارَة الْعقل وَالتّدْبِير انبعاثا وألطافا .

وهنا فضلا عن تقسيم إبن الأزرق لحال الناس مع الغضب إلى تفريط وإفراط واعتدال يعتبر هو والإمام الغزالي أن الغضب من الفطرة ، مجبول في الإنسان

ومخلوق معه ، ومع هذا يجدر بالإنسان سياسة نفسه ورياضاتها ، وعدم الإستسلام لطبعه إذا كان فيه حدة تعطل إحكام العقل وسياسته ، وتجعله مرؤوسا لهوى يودي بصاحبه موارد الجنون ، والمخالفة لإمر اللّٰه ، وهذا يقودنا إلى الخوض في إدارة الغضب وسياسته ، ولكن قبل هذا الباب يجدر بنا الحديث عن الغضب المحمود والغضب المذموم ، وقد ذكر الإمام الغزالي في كلامه فيما معناه أن التفريط بالغضب وضعف الحمية مسقط للصيانة عن المنكرات ، كما أن الإفراط فيه أيضا مسقط للعقل والدين عن الإتباع .

الغضب المحمود والغضب المذموم

قبل الحديث عن الغضب المحمود والغضب المذموم علينا أن نبين أن وجهة النظر عن الحياة ، وما يحمله الإ نسان من اعتقاد يتحكم تحكما تاما بالنظرة إلى الغضب ، فالغضب لله إذا ما انتهكت حرماته محمود في نظر المسلم ، مذموم في نظر من لا يؤمن بـاللّٰه ، أو من

يعتبر أن لا سلطة للدين في أفعال الإنسان ، لهذا يرى من فصلوا الدين عن الحياة أن أي إنفعال للدين لا يستوجب الغضب ، بل على النقيض من ذلك تغضبهم الحيلولة دون التمكن من إعمال أهوائهم ، وتلاعب شياطين الإنس والجن بهم ، ونحن هنا نقرر إنطلاقا من عقيدتنا أن الغضب منه المحمود ومنه المذموم ، فا لمحمود منه ما ينتظر إشارة العقل والدين ، والمذموم منه ما أخرج العقل والدين عن سياستهما ، فيصبح المرء معه لا نظر له ، ولا تأمل ، وسنورد فصلا في الحديث عن غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه لله ، مع العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغضب إلا لله مسقطا حظوظ نفسه في ا لإنتصار لها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله) رواه البخاري .

وعنها في وصف النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

(ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل) رواه مسلم

والحقيقة أننا نعتبر الغضب باعتبار الأفعال المترتبة عليه ، ولهذا نقسمه بين محمود ومذموم ، وإلا فإن الغضب مجرد مشاعر يشعلها مفهوم الإنسان وأعتقاده ، تترجم بعدها بأفعال ، ولإرتباط هذه المشاعر بالأفعال أصبح يطلق على أفعال الغضب وآثاره أنها الغضب لإنها ناتجة عنه ، يقول أبو حاتم السبتي : " والخلق مجبولون على الغضب والحلم معا فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم مَا لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل على أن مفارقته في الأحوال كلها أَحْمَد "

والصحيح أن الأفعال التي تنشأ أو تترتب على الغضب هي الأجدر بالتقسيم بين محمود ومذموم ، بعد الإ عتبار لوجهة النظر عن الحياة ، ولهذا نجد من دقة الإ مام الغزالي قوله في التقسيم - أفعال الغضب ، وله تفصيل رائع في هذا الباب دعونا نقف عليه ، يقول رحمه الله :" وأما أفعال الغضب فتنقسم إلى محمود ومكروه ومحظور. أما المحمود ففي موضعين:

أحدهما المسمى غيرة، وهو أن يقصد حريم الرجل ويتعرض لمحارمه. فالغضب له ولدفعه محمود، وقلة التأثر به خنوثة وركاكة ، ولذلك قال عليه السلام: " إن سعداً لغيور، وإن الله أغير منه "، وقد وضع الله الغيرة في الرجال ، لحفظ الأنساب فإن النفوس لو تسامحت بـ التزاحم على النساء لاختلطت الأنساب ، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في

نسائها.

والثاني الغضب عند مشاهدة المنكرات والفواحش ، غيرة على الدين ، وطلباً للانتقام ، ولذلك مدحوا بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم. ولذلك قال عليه السلام: " خير أمتي أحداؤها " فالمراد به الحدة لحمية الدين. ولذلك قال تعالى: (وَلا َ تأَخْذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ في دينِ اللَّه ِ) . ومع هذه فالسلطان إذا غضب عند جناية جانٍ ، فينبغي أن يحبسه ولا يبادر إلى عقوبته حتى يجدد النظر فيه ، فإن الغضب غول العقل ، فربما يحمله على مجاوزة حد الواجب في الانتقام.

وأما المكروه فغضبه عند فوات حظوظه المباحة نيلها، كغضبه على خادمه وعبده عند كسر آنيته، أو توانيه في خدمته، بحكم تغافل يمكن الاحتزاز عنه. فهذا لا ينتهي إلى حد المذموم، ولكن العفو والتجاوز أولى وأحب. ولذلك قيل لواحد حكيم: لا تصفح عن عبدك وهو يقصر في خدمتك، فيفسد باحتمالك. فقال: " لأن يفسد عبدي في صلاح نفسي خير من أن تفسد نفسي في صلاح عبدي ". فإن احتمال ذلك إصلاح للنفس والا نتقام إصلاح للعبد .

وأما المذموم فهو الاستشاطة عن الفخر والتكبر و المباهاة والمنافسة والحقد والحسد، وعن أمور واهية تتعلق بالحظوظ البدنية ، من غير أن يكون في الانتقام مصلحة في المستقبل ديناً ودنيا ، وهو الغالب على أكثر الخلق ، وهو انقياد دون مجاوزة للحد الذي أمر الله به ،

والمذموم على خلافه ، أما قولنا لله فاحترازا من الغضب للنفس بفوات حظ من حظوظها ، ليكون الغضب لله في أصله ، إخلاصا له سبحانه ، غيرة على الدين ، وإنفاذا لإمره عز وجل ، ولا يتولد شعور الغضب لله الإ ممن صفت نفسه من أكدار الشبهات والشهوات ، إذ أن المؤمن متى استقرت حقيقة الإيمان في قلبه ، فإن أسمى ما تطلبه نفسه إرضاء اللّه ، يرضى برضاه ويغضب لغضبه .

وقولنا (أثره) نعني به ما تولد عن مشاعر الغضب من أفعال تثبت صدق الغضب لله ، وهذه ليست لها صورة واحدة ، فغضب القادر على تغيير المنكر ليس كغضب المقهور ، وغضب الأمير ليس كغضب المأمور ، وغضب المجاهد في سبيل اللّه ليس كغضب القاعد عن الجهاد من أولي الضرر ، وغضب الرجل ليس كغضب المرأة من جهة إنكار المحرمات ، فلكل صورة فعل في إنكار المنكر ، والغضب لله ، فمثلا لا يكفي غضب الأمير المجرد إذا ما انتهك العدو حرمات المسلمين ، وصال في بلادهم ، بإن يقول هذا منكر لا أرضاه بل عليه أن يرد العدوان ، ويحرك الجيوش إنتصارا للمستضعفين من المسلمين ، ولا يكفي غضب المسلمين على من اقترف الزنا أو السرقة أو القتل حتى يقيموا حدود اللّه تعالى عليه ، ولا يكفي من الزوج إذا رأى في زوجه التقصير والمعصية أن يقتصر على الغضب بل عليه أن يعظ ، ويهجر، ويضرب ضرب تأديب إن تعذرت الإ

ستجابة ، وبهذا يتبين أن لكل غضب محمود صورة من الفعل في حدود قدرة الغاضب لله .

(وقلنا : دون مجاوزة للحد الذي أمر اللَّه به)

لا يعني الغضب لله الإفراط فيه ، والإتيان بأفعال يجاوز فيها العبد حدود الشرع بدعوى الغضب لله ، ف الغضب لله ليس أمرا مفتوحا يجوز للإنسان فيه فعل ما يشاء ليثبت إخلاصه لربه ، فليس للمسلم أذية أهل الذمة بدعوى كفرهم ، غضبا لله منهم ، أو قتل السارق ، وتعذيب العاصي ، وإيقاع السب والشتم عليه ، بل لا بد أن يكون الغضب لله تعالى ضمن أمره في إنكار المنكر وتغييره ، من غير إفراط ولا تفريط ، وإلا وقع الغاضب بالمحظور ، وجاوز أمر اللَّه تعالى .

غضب المهدي يوما على رجل فقال له شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله فضيلة كظم الغيظ .

ومع ما يحمد من الغضب فإنه ليس الحل للتخلص من المشكلات ، إنه مشاعر بعدم الرضى تحمل في طياتها رسائل مفيدة لاستثارة الإنسان بفعل ملائم ، حتى لا يصبح الغضب مهربا من أعباء التصرف السليم ، والفعل الحكيم ، فالغضب مقدر له أن يكون مؤقتا كالشرارة التي نتمكن بعدها من النور ، والغضب المحمود هو الغضب الحكيم الذي يتبعه تصرف حكيم ، ومع تقهقر أمتنا وحالات الغضب التي تعتريها إلا أن غضبها هذا لن يغير في حالها شيئا ما لم تتخذ لنفسها حلا عمليا

يخرجها من مأزقها ، فالغضب ليس هو المشكلة ، ولا السبيل للتخلص من الأعباء ، الغضب إشارة إلى وجود متاعب وأعباء تستوجب حلولا عملية حكيمه .

وقد يكون أيضا من الغضب المحمود في ميزان العقل ما يحفظ للإنسان حقوقه وحدوده من أن تنتهك ، ف الغضب شعور يوصل الرسائل الى الآخرين بتجاوزهم وتعديهم الخطوط الحمراء للغاضب ، ينذرهم بردة فعل عنيفة ، وكذلك فإن ظهور علامات الغضب على الشخص تنذر الآخرين بأخذ الحيطة والحذر من ردات فعله ، وبمفهوم آخر يتبين أن الغضب يكون رسالة مفيدة تؤديها ملامح جسده للآخرين لإلى يتجاوزوا حدوده ، وكذلك فهي رسالة مفهومة ومفيدة لتجنب التهديد والأذى الذي قد يصدر عن الغاضب ، ذلك لإن الغضب لغته الملامح والجسد لهذا نفهمه جميعا ، لدرجة أننا نفهم غضب الحيوان والطفل الذي لم يتكلم بعد ، و لا يستطيع أن يفصح عن نفسه الإ بما نعرفه من تعابير الغضب .

إدارة الغضب

إن الغضب شعور طبيعي في الإنسان ولكنه يحتاج إلى خبرة وتجربة في التعامل معه ، وهنا نتساءل بعد تولد هذا الشعور هل نستطيع السيطرة على أنفسنا في إدارته واستثماره بما يعود بالنفع ، أم أننا نضعف أمامه ونطلق له العنان ليقودنا حيث شاء ؟

حتما إذا كان الشخص ممن لا يستطيع كبح جماح غضبه على الإطلاق ، فهذا يفضل له قطع أسباب الغضب بإن يوجه إلى تهدئة نفسه كلما وجد فيها تأهبا للغضب ، فإن هذا أسلم له ولدينه ، وأبعد عن إيقاع الأ ذى بالآخرين ، وفي الحديث الذي يرويه البخاري (عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنّ رَجُلًا قال للنّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -: أَوْصِنِي، قالَ: "لا تغْضَبْ" فَرَدّدَ مِرَارًا قال: "لا تغْضَبْ") وقال إبن الملقن :" ومعنى الحديث: الحذر من أسباب الغضب، وعدم التّعرّض للأمور الجالبة له، فأمّا نفسُ الغَضَبِ فَطَبعٌ لا يُمْكِنُ إزالَتهُ مِن الجِبِلّةِ. "

وقال الخطابي رحمه الله في شرح الحديث : "معنى قوله: (لا تغضب) هو أن يحذر أسباب الغضب وأن لا يتعرض للأمور التي تجلب عليه الضجر فتغضبه. فأما نفس الغضب, فطبع في الإنسان لا يمكنه نزعه وإخراجه من جبلته وقد يكون معنى قوله: لا تغضب, أي: لا تفعل ما يأمرك به الغضب ويحملك عليه من القول والفعل ، وقد قيل: أن أعظم أسباب الغضب الكبر ، وإنما يغضب الإنسان لما يتداخله من الكبر عندما

يخالف في أمر يريده أو يعارض في شيء يهواه ، فيحمله الكبر على الغضب لذلك ، فإذا تواضع وذل في نفسه ذهبت عنه عزة النفس وماتت سورة الغضب ، فسلم بإذن الله من شره "

وحذار لمن هذا حاله أن يقول لا أستطيع ، لإن الله عز وجل لم يأمر بشيء خارج عن قدرة الخلق ، ولم ينه عن أشياء لا يستطيع الخلق الإنتهاء عنها ، وإن كان الشخص لا يستطيع إخفاء غضبه لأنه شعور ذاتي بعدم الرضى ، ولكن صورة الفعل في التعبير عن الغضب ، أو ما ينتج عنه من سلوك وتصرفات تقع حتما في دائرة ا لاستطاعة والقدره ، فلا يعذر الغاضب اذا ما اقترف محرما أو إثما بدعوى الغضب ، بل يؤخذ بالإثم بغضبه إذا ما جاوز حدود شرع الله بأذى الغير أو سبه . إلا أن تكون لديه حالة مرضية خاصة تخرجه عن دائرة الإ دراك لدرجة تشبه السكر أو الجنون وقد تكلم الفقهاء في هذه المسألة واختلفوا بها ، وفحوى الخلاف و السؤال المطروح : هل من الغضب ما يخرج صاحبه عن الوعي والإدراك بحيث يعذر معه عن تبعات غضبه من تصرفات ومخالفات ؟

يقول إبن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان : " وقد يُنكِر كثيرٌ من الناس أن الغضبَ يُزِيل العقل، ويبلغُ بصاحبه إلى هذه الحال، فإنه لا يعرف من الغضب إلا ما يَجدُ من نفسه، وهو لم يَعْلَمْ غضبًا انتهى إلى هذه الحال ! " ويجيب رحمه الله بالرد

على من ينكر زوال عقل البعض بالغضب بالقول " وهذا غلط ؛ فإن الناس متفاوتون في الغضب تفاوتًا عظيمًا، فمنه ما هو كالنّشوة، ومنه ما هو كالسُكْر، ومنه ما هو كالجُنون، ومنه ما هو سريعُ الحصولِ سريعُ الزوالِ، وعكسُه، ومنه سريعُ الحصول بطيءِ الزوال، وعكسه، كما قسّمه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه الأقسام "

إن إدارة الغضب ، أو ملك النفس ساعة الغضب أمر مقدور عليه يثبت قوة صاحبه ، ورباطة جأشه ، كما أن عدم ملك النفس وانجرار الإنسان وراء مشاعر الغضب دون توجيه ، يثبت ضعف وخور ، وقلة حزم هذا الغاضب ، جاء في كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لإبن عبد البر رحمه الله : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم قَالَ :(لَيْسَ الشّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنمَا الشّدِيدُ الّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) وَفِي هَذَا الحَدِيثِ مِنَ الفِقْهِ فَضْلُ الحِلْمِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنّ الحِلْمَ كِتْمَانُ الغَيْظِ ، وَأَنّ العَاقِلَ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ ، لِأَنّ العَقْلَ فِي اللغَةِ ضَبْطُ الشّيْءِ وَحَبْسُهُ مِنْهُ قِيلَ عِقَالُ النّاقَةِ وَمَعْنَاهُ فِي الشّرِيعَةِ مِلْكُ النّفْسِ وَصَرْفُهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا المُرْدِيَةِ لَهَا وَحَبْسُهَا عَمّا حَرّمَ اللهُ عَلَيْهَا وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَقَدْ جَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَيَغْلِبُهَا مِنَ القُوّةِ مَا لَيْسَ لِلّذِي يغلب غيره ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنّ مُجَاهَدَةَ النّفْسِ أصعب مراما وَأَفْضَلُ مِنْ مُجَاهَدَةِ العَدُوّ وَاللهُ

أَعْلَمُ وَأَمّا قَوْلُهُ ((الصُّرَعَةُ)) فَإِنّهُ يَعْنِي الْكَثِيرَ الْقُوّةِ الّذِي يَصْرَعُ كُلّ مَنْ صَارَعَهُ وَمِثْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ هَذَا رَجُلٌ نُوَمَةٌ يَعْنِي كَثِيرَ النّوْمِ وَحُفَظَةٌ يَعْنِي كَثِيرَ الْحِفْظِ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ الصُّرَعَةُ تَثْقِيلُ الْكَلِمَةِ بِالْحَرَكَاتِ مَعْنَاهُ الّذِي يَصْرَعُ النّاسَ "

ويعتبر الإمام إبن تيمية رحمه الله أن من غلبه غضبه ، حتى ضاعت سياسة عقله بالتهور ليس بالشديد ولا بِالقوي مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول رحمه الله أثناء حديثه عن الشجاعة في الغضب : " والشجاعة لَيست هِيَ قُوّة الْبدن فقد يكون الرجل قوي الْبدن ضَعِيف الْقلب ، وانما هِيَ قُوّة الْقلب وثباته فَأن الْقِتَال مَدَاره على قُوّة الْبدن وصنعته لِلْقِتَالِ ، وعَلى قُوّة الْقلب وخبرته بِهِ والمحمود مِنْهُمَا مَا كَانَ بِعلم وَمَعْرِفَة دون التهور الَّذِي لَا يفكر صَاحبه وَلَا يُمَيّز بَين الْمَحْمُود والمذموم وَلِهَذَا كَانَ الْقوي الشَّدِيد هُوَ الَّذِي يملك نَفسه عِنْد الْغَضَب حَتّى يفعل مَا يصلح دون مَا لَا يصلح فَأما المغلوب حِين غَضَبه فَلَيْسَ هُوَ بِشُجَاعٍ وَلَا شَدِيد وَقد تقدم ان جماع ذَلِك هُوَ الصَّبْر فَإِنّهُ لَا بُد مِنْهُ وَالصَّبْر صبران صَبر عِنْد الْغَضَب وصبر عِنْد الْمُصِيبَة كَمَا قَالَ الْحسن رَحمَه الله :" مَا تجرع عبد جرعة اعظم من جرعة حلم عِنْد الْغَضَب وجرعة صَبر عِنْد الْمُصِيبَة " ، وَذَلِكَ لِأَن أصل ذَلِك هُوَ الصَّبْر على المؤلم وَهَذَا هو الشجاع الشّدِيد الَّذِي يصبر على المؤلم والمؤلم ان كَانَ مِمّا يُمكن دَفعه اثار الْغَضَب وان كَانَ

مِمَّا لَا يُمكن دَفعه اثار الحزن وَلِهَذَا يحمر الْوَجْه عِنْد الْغَضَب لثوران الدّم عِنْد استشعار الْقُدْرَة ويصفر عِنْد الْحزن لغور الدّم عِنْد استشعار الْعَجز وَلِهَذَا جمع النَّبِي صلى اللّٰه عَلَيْهِ وَسلم فِي الحَدِيث الصَّحِيح الَّذِي رَوَاهُ مُسلم (عَن عبد اللّٰه بن مَسْعُود رَضِي اللّٰه عَنهُ قَالَ قَالَ النَّبِي صلى اللّٰه عَلَيْهِ وَسلم مَا تعدونَ الرقوب فِيكُم قَالُوا الرقوب الَّذِي لَا يُولد لَهُ قَالَ لَيْسَ ذَاك بالرقوب وَلَكِن الرقوب الرجل الَّذِي لم يقدم من وَلَده شَيْئا ثمَّ قَالَ ما تعدون الصرعة فِيكُم قُلْنَا الَّذِي لَا يصرعه الرِّجَال فَقَالَ لَيْسَ بذلك وَلَكِن الصرعة الَّذِي يملك نَفسه عِنْد الْغَضَب فَذكر مَا يتَضَمَّن الصَّبْر عِنْد الْمُصِيبَة وَالصَّبْر عِنْد الْغَضَب)

قَالَ اللّٰه تَعَالَى فِي الْمُصِيبَة {وَبشر الصابرين الَّذين إِذا أَصَابَتْهُم مُصِيبَة قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون}الاية سُورَة الْبَقَرَة 155 156

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْغَضَب {وَمَا يلقاها إِلَّا الَّذين صَبَرُوا وَمَا يلقاها إِلَّا ذُو حَظّ عَظِيم} سُورَة فصلت35" .

علينا أن ندرك أن الجهل في إدارة الغضب من الخطر بمكان عظيم ، فقد تزهق فيه النفس ، وتولد فيه حواجز وجدران تحول بين إئتلاف الناس وودهم ، فذا خسر نفسه ، وذا عق والديه ، وذا خسر زوجه ، وذا خسر ولده ، وذا خسر صديقه ، وذا خسر ماله ، والقائمة تطول ، إن إدارة الغضب أو ملك النفس تحتم علينا عدم الإنجرار له ، بل جره إلى حدود العقل والدين ، وإلا

تحقق الأذى كما أسلفنا ، يقول إبن الجوزي رحمه الله : "ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فورته لم يؤمن أن تبدر منه نكاية يندم عليها إما في نفسه أو في المغضوب عليه، فكم ممن غضب فقتل وجرح أو كسر عضو ولده ثم بقي الدهر نادمًا على ما فعل ، ومنهم من ينكأ في نفسه ، فإن رجلًا غضب مرةً فصاح فنفث الدم في الحال وأدى به الأمر إلى الهلاك ، فمات، ولكم رجل رجلًا فانكسرت أصابع اللاكم ولم يستضرّ الملكوم"

فما السبيل إلى إدارة الغضب وتوجيهه في مساره الصحيح ؟ علما بإن الإمتحان فيه صعب .

إن استطعت ألا تغضب إلا لله فافعل !

نعم إن استطعت ألا تخرج من دائرة الغضب المحمود لله فافعل ، مسقطا حظوظ نفسك بالتشفي والانتقام فإن هذا حال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي أمرنا بالتأسي به والمتابعة ، وقد مر معنا فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " (والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك

حرمات الله فينتقم لله) رواه البخاري

فهذا أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، يقول : (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله ِ الَّذِي عِنْدَكَ؛ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) متفق عليه ، فأي أدب نبوي هذا بالتعامل مع أهل الغلظة ، وأي حلم في إحكام السيطرة على النفس مع وجود ما يستثيرها للغضب وا لانتقام ، بل يضحك له النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر له بعطاء.

وهذا أعرابي يغلظ القول أمام خير الخلق وأتقاهم لله فيلتمس له الرسول صلى الله عليه العذر في ذلك ، ويعطيه فوق ما يستحق فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلًا أتى النّبيّ صلى الله عليه وسلم يتقاضاه فأغلظ ، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه فإنّ لصاحب الحقّ مقالًا». ثمّ قال: «أعطوه سِنًّا مِثل سِنّه». قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلّا أمثل مِن سِنّه، فقال: «أعطوه، فإنّ مِن خيركم أحسنكم قضاءً» رواه البخاري

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كأنّي أنظر إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًّا مِن الأ نبياء ضربه قومه فأدموه، فهو يمسح الدّم عن وجهه،

ويقول: ربِّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون" رواه البخاري

قال النّوويّ: " فيه ما كانوا عليه ، صلوات الله وسلامه عليهم مِن الحِلْم والتّصبُّر والعفو والشّفقة على قومهم ، ودعائهم لهم بالهداية والغفران ، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنّهم لا يعلمون ، وهذا النّبيُّ المشار إليه مِن المتقدِّمين ، وقد جرى لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد " شرح النووي على مسلم

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنّها قالت للنّبيِّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدّ مِن يوم أُحُدٍ؟ قال: «لقد لقيت مِن قومك ما لقيت ، وكان أشدُّ ما لقيت منهم: يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلَالٍ ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال ، فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمّد ، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخْرِج الله مِن أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» البخاري ومسلم

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ،

فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، فقالت: أردت لأقتلك قال: «ما كان الله ليسلطك على ذاك»، قال: أو قال: «علي» قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «لا» قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري ومسلم واللفظ له

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلًا مِن أهل مكة بالسِّلاح مِن قِبَل جبل التَّنْعيم يريدون غِرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليهم فأخذوا ، قال عفّان: فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآ ية: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح من الآية:24]. رواه مسلم وأحمد

والأمثلة من ملك الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وعدم الانتقام لها تطول من سيرته المفعمة بتحمل الأ ذى مع وجود القدرة على الإنتقام فداه أبي وأمي ، فما كان ليبالي بالأذى إذا كان في سبيل إرضاء الله عز وجل ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم بعدما آذاه أهل ثقيف ودمه الطاهر يسيل منهم (إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ...)

ولا يظنن ظان أن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم عن الغضب للنفس خلاف البشر ، ولهذا لا يغضب لحظوظ نفسه ، ولا يجاهدها بدفع الغضب لها ،

لإنه صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث عن نفسه في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لن تخلفنيه.. فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ.. أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ فاجعلها له كفارة وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.»

وفي هذا تعليم لنا أن نجاهد أنفسنا لدفع الغضب لها ، و التوبة إلى الله تعالى دائما من أفعال جاوزنا بها الحد بسبب الغضب ، حتى لو كان الغضب لله ، فلا ينبغي لمن يغضب لنفسه أو لله أن يجاوز حدود الله بأفعال يدرجها تحت مسمى الغضب ، ومع قول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا لم نرى له مخالفة واحدة أثناء غضبه فداه نفسي ، بل باستقراء سيرته الشريفة لم نجده يغضب لنفسه قط ، وإنما كان سائر غضبه لله فقط .

إن آخر ما يرقى به المرء من التعامل مع الغضب وإدارته أن لا يكون غضبه إلا لله ، ضمن دائرة الغضب المحمود من الله ، وهذا مراس صعب لا يستطيعه إلا أهل الإيمان والصبر والحزم ، اللّهم إجعلنا منهم .

الغضب من جهة المدح والذم

ظهر لنا سابقا أن الغضب ينحصر في قسمين :

غضب للنفس ، وغضب لله ، أما الغضب للنفس فليس كله مذموما ، وليس كله محمودا ، لأنه شعور جبلي تلقائي مخلوق بفطرة الإنسان ، وإنما جهة مدحه أو ذمه تأتي بإنزال حكم اللّه فيما يعقبه من تصرفات ، أو بمعنى آخر إنزال القياس عليه بمقياس الشرع ، لإن المدح والذم يقصد به المدح من اللّه ، وكذلك الذم ، هذا من باب المدح والذم أما من باب الخطأ والصواب فلا مانع من الرجوع فيه إلى العرف والعقل ، وتقدير أولي النهى والأدب ، فمثلا لو ضاع للإنسان شيء في بيته وهو يحتاج إليه قد يغضب ، وغضبه يكون شعورا تلقائيا طبيعيا لفوات الإنتفاع من الشيء المفقود لا يلام عليه ، ولكن ماذا عنه لو شتم وسب وضرب من يقطن معه في البيت ، وحملهم مسؤولية فقده ذلك الشيء ؟ يكون حتما وقع في معصية جراء تعديه ، واتهامه وظلمه لذويه ومن لا جرم له بفقد ما يخصه ، ولكن ماذا عنه لو لم يفعل ذلك ولكنه صرخ ورفع صوته معبرا عن ضيقه الشديد جراء ما حدث له ؟

يكون حتما مخطئا لا عاصيا ، لأنه لم يعتد على أحد ، ولكن كان الأجدر به الصبر والإحتساب لما أصابه ، و الصراخ ليس تصرفا حكيما في مثل هذه المواقف ، وقد يحدث ذلك مع آخر تظهر عليه علامات الغضب ولكنه يعمل على تهدئة نفسه ، واحتساب مصيبته عند الله ، فهذا حتما يكون مصيبا ومحمودا .

أما الغضب لله فمحمود حتما ولكن بشرطين :

الأول : أن يكون هذا الغضب خالصا لله لا رياء فيه .

والثاني : أن يكون عن علم في الأصل والأثر ، ونقصد با لأصل مبدأ الغضب ، وبالأثر ما يعقب الغضب من تصرفات تترجمه ، فليس هناك شيء أضر على الدين من الجهل .

وقد يبدو الغضب للناس أنه لله فيظنون بصاحبه كل ظن جميل وصاحبه لا يبتغي وجه الله في غضبه بل يريد السمعة والشرف ، ورفع أنظار الناس إليه ، وفي هذا وردت العديد من الأحاديث توقع الذم على من هذا حاله أعاذنا الله من ذلك ، ومن هذه الأحاديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل

تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار"

وهنا أوردنا الحديث لبيان أن غضب المسلم على من يصد عن سبيل الله ، ويحول دون وصول دعوة الله للناس ، وينتهك حرمات المسلمين يكون بقتاله ، وكذلك لمن يتوقع غضبهم لانتشار الجهل فيقومون لله في تعليم الناس ، ولإن الغضب لله عبادة لا تصح إلا بإخلاص القصد لله كان وقع هذا الحديث شديدا على من أصيب في إخلاصه في مثل هذه الأعمال التي يتقرب إلى الله بها .

ومنها عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟

لَقَدْ خِبْت وخسرت إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه ُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللَّه ِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّه ِ ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» رواه مسلم

والرجل هذا الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم إعدل منافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي قتل في الخوارج يوم النهروان على يد علي كرم الله وجهه ، فهذا المنافق تظاهر بالغضب لله كاذبا ، وطالبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل ، ولكن أمر هذا الرجل افتضح لإن أمره بالعدل لرسول الله ليس في محله لدرجة أغضبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى طلب إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فمن يعدل إذا لم يعدل رسول الله المبعوث بالهدى ، ودين الحق ، والشك في عدله صلى الله عليه وسلم شك في الرسالة ، وهذا ما أدركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه .

وأورد أبو بكر الخلال في كتابه الشريعة توضيحا للحديث تحت باب ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ , وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي العِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ , وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا يَهْوُونَ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَحَذَّرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِم من سَائِرِ الْخَوَارِجِ يَتَوَارَثُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَيَخْرُجُونَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَالْأُمَرَاءِ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَوَّلُ قَرْنٍ طَلَعَ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ رَجُلٌ طَعَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَا أَرَاكَ تَعْدِلُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟» فَأَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَتْلِهِ وَأَخْبَرَ: «أَنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ» وَأَمَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ بِقِتَالِهِمْ، وَبَيَّنَ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّى، وَاجْتَمَعُوا وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدِ اجْتَهَدَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَنْ لَا يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمَا أَطَاقُوا عَلَى ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ خَرَجُوا

بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَرْضَوْا لِحُكْمِهِ، وَأَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ وَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةٌ حَقٍّ أَرَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، وَقَاتَلَ مَعَهُ الصَّحَابَةٌ فَصَارَ سَيْفُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخَوَارِجِ سَيْفَ حَقٍّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ " فهؤلاء قوم لم يتخلقوا بإخلاق الإ يمان وتظاهروا بالغضب لله حتى استحلوا محارمه ، وطغوا وبغوا ، فلم تشفع لهم عبادتهم وإظهار أمرهم بـ المعروف ونهيهم عن المنكر في قبول أعمالهم بل قد أمر الله تعالى المسلمين بقتالهم ، لإن غضبهم هذا ليس لله فيه نصيب ، وإنما هو غضب لنفوسهم ، ولإهوائهم ، ولا يكون الغضب لله حتى يتحقق فيه معنى الخضوع له سبحانه وتعالى ، والا كان غضبا ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، أخرج الطبراني خبر: " ثلاثٌ من أخلاق الإيمان: مَنْ إذا غضب. . لم يُدخله غضبه في باطل، ومَنْ إذا رضي. . لم يخرجه رضاه من حق، ومن اذا قدر. . لم يتعاط ما ليس له" .

وإنا لفي زمان يتظاهر به بعض من انتسب للعلم بـ الغضب لله ، فتراه يتظاهر بالغضب لسفاسف الأمور و لا يغضب لما يتوقف على وجوده وجود الدين ، ووجود أحكامه كاملة ، يتمعر وجهه إن رأى حليقا للحيته ، ولا يتمعر لمنكرات الحكام وتعددهم ، وحكمهم

بغير ما أنزل الله ، وانتهاكهم محارمه ، وتسليمهم البلاد والعباد لإعداء الله ورسوله ، بل ترى هؤلاء يدورون حول حكامهم يطلبون رضاهم ، أعاذنا الله من مثل صنيعهم .

ومن القضايا التي يجب التركيز عليها عند الغضب لله أن يكون عن علم ، وسابق فهم ، وإلا طرأ الخطأ في مبدئه ، وما يعقبه من تصرفات ، وهذا يحدث كثيرا في زماننا وقد قل العلم وانتشر الجهل ، ولطالما رأينا من أهل الجهل من يغضب على أهل العلم من الدعاة إلى الله إذا لم يوافقوا هواه فيما يحب ويكره ، فتراه يتمادى في تقريعهم وأذيتهم ، وأكل لحومهم دون أن يكون له أدني علم ، أو حظا من فهم .

صحيح أن الإنسان قد يغضب في غير ما يستوجب الغضب جهلا ولكن متى علم الحق فعليه أن يصحح خطأه ، ويتواضع لله بالرجوع عما كان عليه وإلا كان معاندا للحق يغلب طاعة هواه على طاعة ربه وسنعطي بعض الأمثلة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه على ذلك :

منها ما رواه البخاري عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ - يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ

عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قَتْ لا َ ن َ ا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلا َ ه ُ م ْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: « يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا» فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ " فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضب لبنود معاهدة الحديبية معتبرا أنها إعطاء للدنية في الدين ، إذ كان من بنودها أن من لحق بالرسول من قريش رده إليهم ، ومن عاد إلى قريش ممن كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم لم يردوه إلى رسول الله ، وما سكن غضب عمر رضي الله عنه إلا بعدما أفهمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما فعل هذا إلا بإقرار الوحي من الله تعالى له بذلك ، وتأيد بعدها بنزول سورة الفتح ، " قال عمر: فما زلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتقُ مِنَ الذي صنعتُ مَخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خَيْرًا."

يقول حسن أبو الأشبال في كتاب شرح صحيح مسلم : " أما قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ففيم نعطي الدنية في ديننا؟ فإنه لم يكن هذا الكلام من عمر شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً

على إذلال الكفار بظهور الإسلام، كما عُرف من خلقه رضي اللّه عنه وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين. "

ومن خشية عمر رضي اللّه عنه أنه كان إذا غضب ثم ذكر اللّه عنده هدأ عنه الغضب وذهب ، جاء في طبقات ابن سعد :" أن بلال بن رباح رضي اللّه عنه قال لأسلم: يا أسلم، كيف تجدون عمر؟ فقال: خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم، فقال بلال: لو كنت عنده إذا غضب، قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه. "

"وروي أيضاً أن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: ما رأيت عمر غضب قط، فَذُكِرَ اللّه عنده أو خُوّف، أو قرأ عنده إنسان آية من قرآن إلا وقف عما كان يريد "

" وروي أن أسلم مولى عمر رضي اللّه عنه قال: صاح عمر يوماً، وعلاني بالدرة، فقلت: أذكرك اللّه فطرحها "

ومنها ما أورده البغوي في كتابه معجم الصحابة قال :

حدثنا عبيد اللّه بن عمر القواريري نا جعفر بن سليمان الضبعي نا أبو عمران الجوني قال: أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أبا بكر أرضا وربيعة الغفاري فقال: " يا أبا بكر لك كما كان سجا ولك يا ربيعة ما كان بعلا ". قال: فجاء يقتسمان الأرض قال: فوقعت بينهما نخلة أصلها في أرض هذا وفرعها في أرض هذا فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: أنا أحق بها منك. قال: وقال ربيعة: بل أنا أحق بها منك. قال: حتى تكلما فيها فغضب أبو بكر

رضي اللّه عنه فنال من ربيعة. قال: فبلغ ذلك قومه فغضبوا. قال: فقام ربيعة فيهم وهم يتندمون يقولون: شتم صاحبنا ونال من صاحبنا إذ جاء أبو بكر رضي اللّه عنه فرآه ربيعة فلما رآه قال لقومه: هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد جاء وثاني اثنين وذو شيبة المسلمين فإن ضربني أو شتمني فلا يحولن أحد بينه وبين ذاك فإني أخشى أن تحولوا بينه وبين ذاك، فيغضب، فيغضب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فيغضب اللّه تبارك وتعالى لغضب نبيه صلى اللّه عليه وسلم فيهلك ربيعة، قال: فجاء أبو بكر رضي اللّه عنه نادما على ما كان منه فقال: يا ربيعة سبني كما سببتك. قال: يغفر اللّه لك يا أبا بكر ما كنت لأسبك.

قال: فقال أبو بكر: واللّه لتسبني كما سببتك أو لأ شكونك إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، قال: ما كنت لأسبك. قال: فاجتمعنا عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال أبو بكر رضي اللّه عنه: كان مني إلى ربيعة سب فقلت له: سبني كما سببتك فأبى ، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: " أجل يا ربيعة لا تسبن أبا بكر رضي اللّه عنه فولى أبو بكر باكيا. "

فأي خلق رفيع لربيعة رضي اللّه عنه ، وأي ندم على غضب لأبي بكر رضي اللّه عنه حتى يولي باكيا .

ومن عجيب ما يروى ما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس رضي اللّه عنه : " قَال: مَاتَ ابْنٌ لأ
َ بِ ِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيمٍ. فَقَالت لأ

َ ه ْ ا ِ ه َ ا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذلِكَ فَوَقَعَ بِهَا. فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا ، قَالتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيتَهُمْ أَهْلَ بَيتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُنم؟ قَالَ: لَا قَالتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي! فَانْطَلَقَ حَتى أَتى رَسُولَ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَال رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ: " بَارَكَ اللّه ُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيلَتِكُمَا " قَالَ: فَحَمَلَتْ قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ ، إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطرُقُهَا طُرُوقًا فَدَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَاحْتُبِسَ عَلَيهَا أَبُو طَلْحَةَ وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا رَبِّ ، إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِكَ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ. وَقَدِ احْتُبِسْتُ بِمَا تَرَى. قَالَ: تَقُولُ أُمُّ سُلَيمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ. انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا. قَالَ: وَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَت غُلَامًا فَقَالتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ ، لَا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتّى تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ فَلَمَّا أَصبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلّمَ قَالَ: فَصَادَفْتُهُ وَمَعَهُ مِيسَمٌ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: "لَعَل أُمَّ سُلَيمٍ وَلَدَتْ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ فَوَضَعَ

الْمِيسَمَ قَالَ: وَجِئْتُ بِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِعَجْوَةٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلاكَهَا فِي فِيهِ حَتَّى ذَابَتْ ثُمَّ قَذَفَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهَا قَالَ: فَقَال رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَ نْ صَ ا رِ التَّمْرَ" قَالَ: فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّه ِ "

وإن كان حديثنا بالتمثيل على الغضب فأي صبر لهذه الأم وأي حرص لها على مشاعر زوجها وعدم التنغيص عليه ولو فعلت إمرأة في زماننا ما فعلته أم سليم لقيلت فيها الأعاجيب ذما رضي الله عنها ، وشأننا أن أبا طلحة رجع عن غضبه بإقرار الرسول لها على صنيعها حتى دعا لهما بالبركة في ليلتهما .

ومجمل القول في ذلك أن المسلم متى تبين له الخطأ في غضبه فعليه أن يؤوب إلى الله تعالى بالتوبة عما بدر منه ، جعلنا الله من أهل الأوبة والتوبة ، وألزمنا مكارم الأخلاق .

الغضب للنفس

عرفنا في الفصول السابقة معنى الغضب وأقوال أهل المعرفة فيه ، وتبقى لدينا أن نشبع البحث في معنى الغضب للنفس ، أسبابه ودواعيه ، ومعنى النفس التي يتحرك لها غضبنا ، والتي سنستهل البحث فيها .

النفس : لفظ من الألفاظ المشتركة ولها عدة معان جاء في القاموس المحيط من معانيها :

" الرّوح. وهي هنا مؤنّثة. يُقال: فاضت نَفْسُه. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [العَنكبوت:57].

الذات: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} [المَائدة:45]

الضمير {وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَ مَ ّ ا َ ر َ ة ٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي} [يُوسُف:53] وقال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} [الأعرَاف:205]

الذات الإلهية {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المَائدة:116]

العين. يقال: «أصابته نَفْسٌ»

الدّم. يقال: «دَفَقَ نَفْسَه»

الجَسَد. يُقال: «هو عَظيم النّفْس»

الحَقيقة. يُقال: «في نَفْس الأمر والواقع»

شخص الإنسان. وهي هنا مُذكّرة. يُقال: «عندي ثلاثة أنفس»، وكقوله تعالى: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ} [الزّمَر:56]. وقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النِّساء:1]، يعني آدم عليه السّلام، وزوجَها يعني حَوّاء. وكقوله تعالى: {وَمَا

تدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمَان:34]

الشَّيْء: عينه. ويؤكّد به فيُقال: جاءني هو نَفْسه وبنَفْسه

الذّات. يُقال: الثِّقَة بالنّفْس، الاعْتِماد على النّفْس، في قَرارة نَفْسه. وفي القُرآن: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمَان:34]

عند {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المَائدة:116]: أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك. العُقوبة. {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} [آل عِمرَان:28]: أي عقوبته.؛فُلان يؤامِر نَفْسَيه ويُشاورهما: له رأيان لا يَدري على أيّهما يَثبُت.؛في نَفْسي أن أفعل كذا: أي قَصْدي ومُرادي أن أفعل كذا."

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: النَّفْسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَجْرِي عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدِهِمَا قَوْلُكَ خَرَجَتْ نَفْسُ فُلَانٍ أَيْ رُوحُهُ ، وَفِي نَفْسِ فُلَانٍ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَ كَذَا أَيْ فِي رُوعِهِ ، وَالضَّرْبُ الْآخَرُ مَعْنَى النَّفْسِ فِيهِ مَعْنَى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتِهِ ، تَقُولُ: قَتَلَ فُلَانٌ نَفْسَهُ وَأَهْلَكَ نَفسَهُ أَيْ أَوْقَعَ الْإِهْلَاكَ بِذَاتِهِ كُلِّهَا وَحَقِيقَتِهِ ، وَالْجَمْعُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنْفُسٌ وَنُفُوسٌ " لسان العرب

وجاء فيه أيضا : " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَانِ: إِحْدَاهُمَا نَفْسُ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ ، وَالْأُخْرَى نَفْسُ الرُّوحِ الَّذِي بِهِ الْحَيَ "

يقول الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين :

" النفس : وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان :

أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب و الشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الا ستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بـ النفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإ شارة بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك (1) أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين .

المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإ نسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال الله تعالى في مثلها {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية} والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان ، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى {و لا أقسم بالنفس اللوامة} وإن تركت الاعتراض وأذعنت

وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء ، قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء} وقد يجوز أن يقال المراد بالأ مارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذن النفس بـ المعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة ب الله تعالى وسائر المعلومات "

ومن هنا يستدل أن مفهوم النفس الذي نحن بصدده يقصد به ذات الإنسان بما تحمله من غرائز ومشاعر ومفاهيم ، ولكن عند تقسيم الغضب إلى غضب لله وغضب للنفس ، يكون المقصود بالغضب للنفس هنا تقديمها وتقديم الغضب لها على سواها ، فالحرص و البخل والكبر والأثرة والكثير من محبوباتها ، والكثير من مكروهاتها ، وما يدعو إلى تقديمها على سواها كلها مظاهر تدل عليها ، وتنبىء عن حالها .

فالغضب للنفس هو كيفية للنفس تعرض من حصول ما لا يلائمها فتترتب عليه كراهية الفعل المغضوب منه وكراهية فاعله ، ويلازمه الإعراض عن المغضوب عليه ومعاملتُه بالعُنف وبقطع الإحسان وبالأذى ، وقد يفضى ذلك إلى طلب الانتقام منه فيختلف الحد الذي يثور عند الغضب في النفس باختلاف مراتب احتمال النفوس للمنافرات واختلاف العادات في اعتبار أسبابه .

والناس مع النفس في عدم التمكن من حصولها على

محبوباتها ، ودفع مكروهاتها ، أو أخذ ما لها – على مراتب فمنهم الذي يبلغ به الغضب لهذا مبلغا عظيما ، لا يقر له قرار إلا بالتشفي والانتقام ، ومنهم المعتدل في غضبه لنفسه ، ولكنه كلما طرأ عليه ذكر ما أغضبه تغير حاله ، فهو متردد بين السكون والغضب ، لإن النفس لديه تسترجع مشاعر الألم كلما طرأ عليها ذكر ما مر عليها منه ، وبعد ذلك فالناس بالغضب للنفس على درجات ، وأعلاهم كعبا في هذا ، وأشرفهم مكانا من طرد الغضب لنفسه عن علم وإدراك لعلمه بجزاء الكاظمين الغيظ عند الله ، وعلمه أن المبالغة في التعصب للنفس وإيثارها رأس كل شر فليحذر العاقل منه ، وقلنا عن علم إحترازا من ضعف الغضب للنفس لضعف عقلي ، أو خلل نفسي .

والمتأمل في الدنيا وعواقبها تهون عليه نفسه في الله فلا يبالغ في طلب الإنتقام لها ، ولا يؤثرها على طاعة ربه ، واتباع أمره وإلا شطت به إلى كل شر ، وعلاجها إنما يكون بتذكيرها بتقصيرها ومآلها إلى الله ، حتى لا يبالغ في تكريمها على حساب طاعة ربها ، ومتى ما أدام زجرها وتذكيرها استقامت له وانقادت ، متواضعة لجناب الله تعالى .

وليعلم أن النفس كالطفل متى أسرف المربي في تدليله وتلبية رغباته حتى تصبح بمثابة الأوامر كان هذا مدعاة لفساده وغضبه إذا تأخر أحد في تلبيتها له ، وكذلك النفس لا يبالغ في تنفيذ رغباتها وإلا أتعبته ،

وشطت إلى ما لا تحمد عقباه ، وبدل أن يقودها سينقاد لها ، وربما يصبح الغضب لديه سجية لا يمكنه الفكاك منها ، والحياة التي نحياها ومخالطة الناس واختلافاتهم تستدعي سعة بالصدر ، وتحكيما لنداء العقل محط فهم نصوص الشريعة الإسلامية الغراء ، فلا مبرر لغاضب بتجاوز كل الخطوط الحمراء بدعوى الغضب لصالح النفس ، ولو فكر بعين العقل ، وأنعم النظر لعلم أن غضبه هذا ليس في صالح نفسه بل في إتلافها ، واستنزال غضب الله عليها .

وفي الختام أسأل الله العظيم أن ينفع بهذا العمل المتواضع ويجعله في ميزان حسناتنا ، وأن يغضي عنا أهل الصناعة في رفع الزلل ، ومواضع النقص والخلل ، والتماس العذر ما ظهر أسوة بإهل العلم ممن عبر ، والله الموفق وإليه مآل الخلق وأهل النظر .